

الرَّسَالَةُ ٩٣

لأَعْرِفُهُ

(Arabic - I want to know Jesus Christ.)

أحبابي.. حديثنا اليومَ مَوْضوعُهُ: لأَعْرِفُهُ

ومن رسالة بولس الرسول إلى مؤمني فيلبّي الأصحاح الثالث نقرأ العددَ العاشر:

"لأَعْرِفُهُ وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ وَشَرَكَةَ أَلَمِهِ مُنْتَسِبًا بِمَوْتِهِ".^١

لقد استهلَّ بولس الرسولُ رسالتهُ إلى المؤمنين الذين في غلاطيةَ مُعرِّفاً نفسهُ بتلكَ الكلمات: "بولسُ رسولٌ لا من النَّاسِ ولا بإنسان بلُ بيسوعَ المسيحِ واللهِ الأبِ الذي أقامَهُ مِنَ الأَمواتِ". ثمَّ قال: "وأعرِّفكمُ أيُّها الإخوةُ الإنجيلُ الذي بَشَرْتُ بِهِ أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إنسانٍ لأنِّي لمَ أَقبلُهُ مِنْ عِنْدِ إنسانٍ ولا عَلَّمْتُهُ، بلُ بِإعلانِ يسوعَ المسيحِ". فهلَ كانَ يَنقصُ بولسَ الرسولَ مَعْرِفَةً لِشَخْصِ المسيحِ؟. ولقد قامَ بالتبشيرِ باسمِ يسوعَ في دُولٍ كثيرةٍ في العالمِ المَعْرُوفِ وقتذاك. ولا سيَّما مَدِينَةَ فيلبّي وهيَ أولُ مَدِينَةٍ في أورُبَّا أسَّسَ فيها بولسُ الرسولُ كنيسةً. ولقد أرسلَ إليها تلكَ الرَّسالةَ وقد اقتبسنا منها الآيةَ التي سبقَ ذِكْرُها وكانَ وقتذاكَ سَجِيناً في رُوما.

لقد عرَّفَ بولسُ الرسولُ يسوعَ المسيحِ. فأىَ نوعٍ مِنَ المَعْرِفَةِ بيسوعَ كانتَ تنقصُ بولسُ والتي يُحدِّثُ بولسُ عنها مؤمني فيلبّي؟. إنَّ الأناجيلَ أَىَ الأخبارِ السَّارةِ سَجلها البشَّيرُونَ الأربعةُ بوحيِ الرُّوحِ القُدسِ. تحدِّثنا عنَ يسوعَ المسيحِ ابنِ اللهِ المُتَجَسِّدِ. عنَ ميلادهِ ونشأتهِ وإرسالِيتهِ وتعاليمِهِ ومُعْجَراتِهِ وعنَ صلبيهِ ومَوْتِهِ ثمَّ قِيامَتِهِ وظُهورِهِ وصُعودِهِ إلى السَّماءِ وقد ختمَ يوحنَّا البشَّيرُ إنجيلَهُ بقوله: "وأما هذهِ فقدَ كَتَبْتُ لِتُؤمِنُوا أَنَّ يسوعَ هُوَ المسيحُ ابنُ اللهِ ولكيَ تكونَ لَكُمْ إذا آمنتمُ حياةً أبديَّةً". لمَ يَقصدُ بولسُ الرسولُ بقوله "لأَعْرِفُهُ" أَنَّهُ كانَ يُعوزُهُ دراسةٌ أعمقُ للكتابِ المُقدَّسِ فيولسُ دَرَسَ وتعلَّمَ الكثيرَ مِنَ العُلومِ اللاهوتيةِ على يَدِ الفقهاءِ مِنَ مُعلِّمي الشريعةِ في عصرِهِ.. ولكِنَّهُ قَصَدَ مَعْرِفَةَ أعمقَ بالرَّبِّ يسوعَ ذاتهِ. وليسَ بعلومِ لاهوتيةِ.^٢

كانَ بولسُ الرسولُ في طريقِهِ منَ أورشليمَ إلى دِمَشقَ يَحْمِلُ رَسائِلَ مِنْ رُؤساءِ كهنةِ اليهودِ. لِيُعَذِّبَ وَيَضطهدَ الذينَ آمنوا بالمسيحِ.. فلمَ يَكُنْ لَيْسَكْتَ على قولِ تلاميذِ يسوعَ أَنَّهُمُ رأوا يسوعَ حيًّا حتىَ ظهرَ لَهُ الرَّبُّ يسوعُ نفسهُ فأَمَنَ بِهِ.. ولقدَ أوجَزَ بولسُ الرسولُ اختبَارَهُ في تلكَ الكلماتِ التي جَاءَتْ بِرِسالَتِهِ الأُولى إلى تلميذِهِ تيموثاوسَ: "وأنا أشكرُ المسيحَ يسوعَ رَبِّنا الذي قَوَّانِي إِبْنَهُ حَسِبِي أَمِيناً إِذْ جَعَلَنِي لِلخِدمَةِ أَنَا الذي كُنْتُ قَبْلاً مَجْدِفاً وَمُضطهداً ومُفترِياً ولكنِّي رُحِمْتُ. لأنِّي فعلتُ بِجَهْلِ في عَدَمِ إيمانِ. وتفاضلتُ نِعْمَةً رَبِّنا جداً مَعَ الإيمانِ والمحبَّةِ التي في المسيحِ يسوعَ.. صادقةٌ هيَ الكلمةُ ومُستحقةٌ كلُّ قَبولِ أَنَّ المسيحَ يسوعَ جَاءَ إلى العالمِ لِيُخلصَ الخُطاةَ الذينَ أولَهُمُ أَنَا.. لكنِّي لهذا رُحِمْتُ لِيُظهرَ يسوعَ المسيحَ فيَّ أَنَا أَوْلَا كُلِّ أَناءٍ.. مثلاً للعبيدِ أَنْ يُؤمِنُوا بِهِ للحياةِ الأبديةِ وَمَلِكِ الدَّهْورِ الذي لا يَفنى ولا يَرى الإلهَ الحكيمَ وَحَدَّهُ. لَهُ الكرامةُ والمجدُ إلى دَهْرِ الدَّهْورِ آمين".

لقدَ وَضَعَ الرَّبُّ يسوعَ على بولسِ الرسولِ مَسئولِيَّةَ عَظيمةَ وَعَرَفَهُ أَنَّهُ "إنَّاءٌ مُختارٌ لِيَحْمِلَ اسمَهُ أَمامَ أُمَّمٍ وَمُلوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلِ وَأَنَّهُ سَيُريهِ كَمَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِ اسمِهِ". فَمَازَا كانَ يُريدُ بولسُ الرسولُ أَنْ يَعْرِفَ أَكثَرَ عنَ يسوعَ حتىَ أَنَّهُ يَقولُ في رِسالَتِهِ لمُؤمِنِي فيلبّي: "لأَعْرِفُهُ وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ وَشَرَكَةَ أَلَمِهِ مُنْتَسِبًا بِمَوْتِهِ".^٣

إنَّ طَلَبَ المَعْرِفَةِ لَهُ دافِعان: الأَوَّلُ: هُوَ غَرِيزةُ حُبِّ الاستطلاعِ. والثاني: هُوَ ظمأٌ وجُوعٌ لارتواءِ وشيخِ رُوحِي. ويتوقَّفُ نموُّ الإنسانِ الرُوحِيَّ على ذلكَ الارتواءِ والشيخِ. وهناكَ فَرَقٌ بَيْنَ دافِعِ يَنْتِجَ عنَ حُبِّ الاستطلاعِ

^١ استمع إلى الإنجيل

^٢ رسالة بولس الرسول إلى مؤمني غلاطية ١: ١ & ٢: ١١ - ١٧ ، إنجيل يوحنا ٢٠: ٣١

^٣ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ١: ١٢ - ١٧ ، سفر أعمال الرسل ٩: ١٥ & ١٦

لإشباع عقليّ وفكريّ. ودافع آخر لمعرفة الله الذي ينبع من حاجة غريزيّة في الإنسان لرؤي روحه وإشباعها كبولس الرسول. ونحن نعلم أنّ مشاهير المؤلفين يكتبون قصص حياة العظماء. ومنهم لم يخالط من كتب عنهم ولا عاشرهم وربما لم يعيش في عصرهم. ولكن ما يميّزه أنّه قادر على جمع المعلومات وسردها والتعليق عليها.^١

وقد يستقى كاتب السيرة بعض المعلومات من أبناء هؤلاء العظماء. والأبناء في الغالب لا يصلحون لكتابة هذا النوع من الكتب. لأن معرفتهم بأبائهم هي نوع خاص من المعرفة. وكثيراً ما يقرأ الأبناء ما كتبه آخرون عن آباءهم للإحاطة بمعلومات يجهلونها عنهم. ولكنها لا تقدّم ولا تؤخر في جوهر ما اخترنته قلوبهم واستوعبته عقولهم من معرفة لأبائهم التي هي عامل أساسي في تكوين شخصياتهم. ومن كان شغوفاً بسير العظماء وجد حاجته لإشباع ميّله فيما يكتبه المؤرخون. ولكن ليس هذا النوع من المعرفة كان يطلبه بولس الرسول.^٢

كان بولس الرسول يهدف إلى ذلك النوع من المعرفة وهي معرفة الابن لأبيه. وهذه لا يستقيها الابن من كتب مؤتة عنه. بل من معايشة ومعاشرة وقرب والتصاق. إنّها معرفة تنتج من ارتباط حياة بحياة. كالتصغير وارتباطه بوالديه. شعور بالضعف بعيداً عنهما والأمان والقوة بجوارهما. قد يتعدّد الأبناء في الأسرة ولكن كلّ ابن من الأبناء يجد عندهما حاجته من الحب الخالص الفريد. وكلما نموتاً ازدادنا معرفة لعمق حبّ الوالدين لنا. فإذا كان حبّ الوالدين في نظرنا عجبياً. فكلم هو عجب حبّ ذلك الذي خلق في الأباء الأبوة وفي الأمهات الأمومة.

إنّ الله أحبّ الجميع ويسوع قد مات على الصليب من أجل الجميع. ولكن كلما ازدادنا عمقاً في معرفة يسوع. خصص كلّ واحد حبّ يسوع له. كما يخصّص كلّ ابن حبّ أمه له وإن تعدّد الأبناء في البيت.. عرف بولس هذا الحبّ العجيب وخصّصه لنفسه فقال عن الربّ يسوع: "الذي أحبّتي وأسلم نفسه لأجلي". إنّ قيمة النفس البشريّة في عينيّ الربّ عظيمة فالعالم كله في نظره لا يساويها. وتقدير الله للنفس البشريّة نذركه بأقوى معانيه فيما سجّل الوحيّ الإلهي بالقول عن الأب السّمائي: "الذي لم يُشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كلّ شيء؟". إنّ الذي كان يعنيه بولس من كلمة "الأعرّفه": هو أنّها معرفة أعمق للحبّ الأعمق.^٣

أخي العزيز: إنّ أول ما يجب أن تعرفه عن يسوع أنّه يُحبك. وأنّ لك في قلبه مكانة خاصة بغضّ النظر عمّا أنت عليه الآن.. لسنت محتاجاً لأنّ تقرأ كتاباً لتعرف محبة الأب السّمائي لك.. ما عليك إلا أن تسمعه يقرع على باب قلبك مُنتظراً أن تفتح له ليدخل.. فإن فتحت له قلبك عرفته المعرفة الحقيقيّة وعرفت كم هو يُحبك.. لقد قال الربّ: إنّ نسيّت الأم الرضيع فأنا لا أنساكم.. قد يفصلون الطفل عن أمه.. ولكنهم لا يفرون فصله عن قلب أمه.. والأم لا تعادل طفلها بأيّ طفل آخر مهما فاق الآخر ذكاءً أو جمالاً.. وهكذا طفلها الثاني وطفلها الثالث.. لكل واحد منهم مكانة الخاص في قلبها.. وبلا شكّ أننا نعلم ذلك وقد اخترناه مع أمهاتنا.

أنت لا تقرأ كتاباً عن الأم لتعرف عمق حبها لك.. وإن أردت معرفة بها أكثر فليس عليك إلا أن تزداد قرباً منها أكثر. وطوبى للجياح والعطاش إلى برّ يسوع وكمال شخصيه لأتهم يشبعون.. لقد عرف بولس الربّ عمق المعرفة.. وعرف عمق محبة الربّ فكتب إلى مؤمّني رومية بالأصحاح الثامن أنّه لا يوجد ما يفصله عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا.. قد تفصل الخطية الخاطيء عن الله ولكنها لا تفصله عن محبة الله.. وليس من دليل على عمق محبة الله للبشر أعظم من الدّم الذي سال على الصليب تكفيراً عن خطاياهم.^٤

عزيزي القارئ.. ليتك تتعرف على إلهك ومخلصك وفاديك.. وإن كنت قد تعرفت عليه.. فليتك تطلب معرفة أعمق.. لذا أدعوك كي تصلي معي: أبانا السّمائي.. أشكرُك من أجل فضل معرفتك.. زدني قرباً إليك لأزداد معرفة لحبك العجيب الذي نقلني من الظلمة إلى النور.. ومن مملكة إبليس إلى ملكوت ابن محبتك.. أرفع صلاتي في اسم يسوع البار.. واثقاً من استجابتك يا من وعدت بقولك: من يقبل إليّ لا أخرجّه خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إنّ أردت سماع تلك الرّسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل متى ٥: ٦

^٢ إنجيل لوقا ١: ١٧

^٣ رسالة بولس الرسول إلى مؤمّني غلاطية ٢: ٢٠ ، إلى مؤمّني رومية ٨: ٣٢ ،

^٤ سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ٣: ٢٠ ، ٥: ١٢ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمّني رومية ٨: ٣٣ - ٣٩ ، سفر إشعياء ٤٩: ١٥